# الفصل السادس
# التقديم والتأخير

يرتبط النظام اللغوي لأية لغة إلى حد كبير بالتكوين النفسي والبيئي والثقافي للأفراد متكلمي هذه اللغة بحيث يصبح هذا النظام -في النهاية- انعكاسا لطبيعة المجتمع ومزاجه وتركيباته النفسية.

والجملة في العربية تخضع لنظام معين في ترتيب مفرداتها. ويقسم النحاة الجملة إلى مسند ومسند إليه ومتعلقات الإسناد.

وإذا كان للجملة في العربية نظام مثالي في ترتيبها، فإن هذا النظام ليس مقدسا لا يجوز المساس به، فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يُقدم عنصر أو يُؤخر آخر. والتقديم والتأخير في الجملة العربية من المباحث المهمة التي حظيت بعناية كبيرة من قِبل النحاة والبلاغيين، وإن غَلَبَ الذوق الجمالي القائم على التحليل اللغوي على تحليلات البلاغيين لها.

ويقسم عبد القاهر الجرجاني التقديم قسمين:

**الأول:** تقديم يقال إنه على نية التأخير، ويَعْني به كل ما يتقدم ويظل على حكمه الذي عليه، كما في الخبر إذا قُدِّم على المبتدأ، والمفعول عندما يتقدم على الفاعل.

**والآخر**: تقديم يُراد به نقل الشيء عن حُكْمٍ إلى حكم وجعله في باب غير بابه، فإذا قُلب التركيب "ضربت زيدا" إلى "زيد ضربته"، صار "زيد" مرفوعًا بالابتداء بعد أن كان مفعولًا به[1].

وعلى الرغم من أن في التقديم والتأخير دوافع وأهدافًا يعول عليها المنشيء سواء أقصد أم لم يقصد، فهما لا يصلحان في كل موقف، فقد يؤديان إلى غموض المعنى وثقل التركيب والتكلف، ولذا نرى البلاغيين -وهم يتحدثون عن شروط فصاحة الكلام- يرفضون التقديم الذي يؤدي إلى اختلال نَظْم الكلام وهو ما يطلقون عليه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز". ص ٨٢.

لفظ "التعقيد"، أي "ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به"[1]، والكتب البلاغية تمتليء بالشواهد المتوارثة الدالة على هذا التعقيد اللفظي.

وقد ورد التقديم والتأخير في ديوان البارودي في خمسة وتسعمائة موضع، وهذا يدل على مدى ثراء هذا الجانب عنده.

وأبرز الظواهر التي كانت شائعة عنده تقديم الجار والمجرور المتعلق بمحذوف يقع خبرًا على المبتدأ النكرة، أو تقديم الجار والمجرور المتعلق بالأفعال على فاعلها، وكذلك تقديم المفعول به على فاعله، أو تقدمه في صدر جملة. وثمة ظواهر لم تكن تتعدى البيت الواحد عنده، مثل تقديم الحال على صاحب الحال.

وينقسم البحث في ظواهر التقديم والتأخير في شعر البارودي إلى ثلاثة أقسام:

**أولًا**: السمات العامة، مثل تقديم المفعول به، وتقديم الحال، وتقديم المفعول لأجله، وتقديم الجار والمجرور ..

**ثانيًا**: السمات الخاصة، مثل تأخير الفاعل ووقوعه مقطعًا للبيت، وتأخير الفاعل ووقوعه بين المفعول الأول والمفعول به الثاني، وتأخير المفعول به ووقوعه مقطعًا للبيت.

**ثالثًا**: التقديم في التركيب الشرطي، ويتمثل في تقديم الاسم على الفعل.

*** أولا: السمات العامة المتعلقة بالتقديم والتأخير:**

**١ – تقديم المفعول به:**

وقد ورد ذلك في مائة واثنين وأربعين موضعًا.

وتتعدد صور ظاهرة تقديم المفعول به، وتتعدد تبعًا لذلك الأهدافُ والغاياتُ. ويمكن تقسيم تلك الظاهرة إلى الصور التالية:

**الصورة الأولى: المفعول به المقدم أعظم شأنًا من الفاعل، كما في قوله:**

فَـــإِنْ يَـــكُ فَارَقْـــتُ الرِّضَـــا فَلَبعـــدَ مَـــا

صَـــحِبْتُ زَمَانًـــا يُغْضِـــبُ الحُـــرَّ عَبْـــدُهُ[2]

فالمفعول به المقدم "الحر" والفاعل "عبد".

---

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٥. وانظر ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص ١٠١.

(٢) عبده: عبد الزمان. الديوان: ١/ ١٩٢.

**الصورة الثانية: المفعول به المقدم أشمل من الفاعل، كقوله:**

فَبِتُّ أُقِيهِ السُّوء إذْ كَانَ صَاحِبي وأَحْرُسُهُ، إنِّي لَدَى الخَوفِ حَارِسُ
لَدَى مَوْطِنٍ لاَ يَصْحَبُ المَرْءَ قَلْبُهُ حِذارًا، وَلاَ تَسْرِي إلَيْهِ الهَوَاجسُ[1]

فالفاعل "قلب" جزء من المفعول "المرء" أي أن المفعول "كل" والفاعل "جزء".

**الصورة الثالثة: المفعول به واقعًا في أسلوب استثناء، كقوله:**

لاَ يُدْرِكُ المَجْدَ إلَّا مَنْ إذَا هَتَفَتْ بِهِ الحَمِيَّةُ هَزَّ الرُّمْحَ وَانْتَصَبَا[2]

فالتركيب السابق -وهو استثناء مُفرَّغ- يقتضي تأخير الفاعل وهو "من".

**الصورة الرابعة: المفعول له واقعًا في أسلوب استفهام، كما في قوله:**

وَكَيْفَ يَعِي سِرَّ الهَوَى غَيْرُ أهْلِهِ وَيَعْرِفُ مَعْنَى الشَّوْقِ مَنْ لَمْ يُفَارِقِ[3]

فتقديم المفعولين في شطري البيت "سر الهوى" "ومعنى الشوق" يُحدث نوعًا من التشويق، ولو قُلب التركيب إلى صورته المثالية هكذا:

وَكَيْفَ يَعِي أهْلُ الهَوَى سِرَّهُ وَيَعْرِفُ مَنْ لَمْ يُفَارِقْ مَعْنَى الشَّوْقِ

لانتفت منه الإثارة الذهنية التي بالتركيب الأول.

**الصورة الخامسة: المفعول به المقدم اسم استفهام، كقوله:**

فأيَّ عارٍ جَلَبتمْ بالخُمْولِ عَلَى مَا شَادَه السيفُ مِنْ فَخْرٍ عَلَى زُحَلِ[4]

وتقديم المفعول به: "أي"، وهو اسم استفهام، يأتي بهدف المبالغة في وصف العار.

**الصورة السادسة: تقديم المفعول به بحيث يؤدي قلب التركيب إلى صورته المثالية إلى إحداث خلل به، كما في قوله:**

فَقَدْ شَبَّ الهَوَى مَنْ رَامَ نُصْحِي وَأغْرَى فِي المَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي[5]

ويتضح الخلل عند تحويل التركيب المتمثل في صدر البيت إلى صورته المثالية كما يلي:

---

(١) حذاراً: خوفاً. والهواجس: الخواطر. الديوان: ٢ / ١٦٩.

(٢) هتفت به: دعته. والحمية: الأنفة. وانتصب: ارتفع. السابق: ١/ ١١٦.

(٣) يعي: يعرف. السابق: ٢/ ٣٥٩.

(٤) أيّ: مفعول به مقدم للفعل (جلب). وشاد: بنى. وزُحَل: أعظم الكواكب السيارة. السابق: ٣/ ٢٤.

(٥) شب النار: أوقدها. ورام: أراد. السابق: ٤/ ٥٧.

"من رام نصحي فقد شب الهوى". ويعود هذا الخلل -أساسا- إلى الانفصال الحادث بين التركيبين "من رام نصحي" و "فقد شب الهوى" -على الرغم من وجود الفاء الرابطة- بحيث قد يفهم أن "الهوى" فاعل "شب" وهو في الأصل مفعول به، أما الفاعل فهو "مَنْ".

**الصورة السابعة: تقديم المفعول به في صدر البيت وعجُزه معًا،** مما يؤدي إلى التجانس اللفظي بين شطري البيت والمزاوجة بينهما، ويخلق -في النهاية- نوعًا من الموسيقى القائمة على التماثل في التركيب بين الصدر والعجُز، كما في قوله:

يُمَـــزِّقُ أَسْـــتَارَ النَّـــوَاظِرِ بَرْقُـــهُ  وَيَقْـــرَعُ أَصْـــدَافَ المَسَـــامِعِ رَعْـــدُهُ[1]

فثمة تقابل بين "أستار" و "أصداف"، من حيث دلالة كل منهما على الإخفاء، وتقابل ضدى بين "النواظر" و "المسامع"، ثم تقابل آخر بين "برق" و "رعد". كذلك فصدر البيت وعجُزه يتماثلان تماما في التركيب -بإغفال واو العطف في أول العجُز- إذ يتكون كل منهما من:

فعل مضارع + مفعول به + مضاف إليه + فاعل + مضاف إليه.

**الصورة الثامنة: تقديم المفعولين، كما في قوله:**

وَلِي مِـنْ بَـدِيعِ الشِّـعْرِ مَـا لَـوْ تَلَوتُـهُ  عَـــلَى جَبَـــلٍ لاَنْهَـــالَ فِي الـــدَّوِ رَيْـــدُهُ

إِذَا مَـــا تَـــلاَهُ مُنْشِـــدٌ فِي مَقَامَـــةٍ  كَفَـــى القَـــوْمَ تَرْجِيـــعَ الغِنَـــاءِ نَشِـــيدُهُ[2]

وتتضاءل -هنا- أهمية الفاعل "نشيد" إلى حد أنه يمكن حذفه دون أن يتأثر المعنى، إذ إن الكلام قد تَمَّ بلفظة "الغناء" ثم زاد "نشيده" اضطرارًا لمراعاة القافية.

---

(١) الأستار: جمع سِتر. والنواظر: جمع ناظرة، وهي العين، ويريد بأستار النواظر: الجفون. ويريد بالبرق: لمعان الأسلحة: ويقرع: يطرق. والأصداف: جمع صَدَف، وهو غشاء الدر، والمراد بأصداف المسامع: أول ما يصل إليه الصوت من أجزاء الأذن. الديوان: ١/ ١٩٥.

(٢) الدو: الصحراء. ورَيْد الجبل: الحرف الناتيء منه. والمنشد: القارئ. والمقامة: الجماعة من الناس. وترجيع الغناء: ترديده. السابق: ١/ ٢٣١.

**٢ - تقديم الحال على صاحبها:**

ويجئ في موضع واحد هو:

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ، وقلَّمَا يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ العَقْلِ مَنْ يَغْوَى[١]

والتقديم -هنا- يعني التأكيد على المعنى الذي يبرزه الحال، ودليل ذلك أن الحال قد تعدد، وأن الحالين، "رشيدًا" و "صالح العقل" يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر لفظًا أو تقديرًا.

**٣ - تقديم المفعول لأجله على الفاعل:**

ويقع ذلك في موضعين.

يقول في أحدهما:

وَسُسْتُ الوَرَى بالعَدْلِ حَتَّى تَشَوُّقًا

إِلَيْكَ الْتَوَى جِيدُ الدُّهُورِ القَدَائِم[٢]

فثمة تركيز على علة التواء الدهور بالمفعول لأجله، "تشوقًا"، وعلى أن هذا الشوق لم يكن "إلا "إليك". ويلاحظ غرابة ورود المفعول لأجله بعد "حَتَّى".

ويقول في الموضع الثاني:

يَعْفُو عَنِ الذَّنْب حتَّى يَسْتَوي كَرَمًا لَدَيْهِ ذُو العَمَلِ المَبْرُورِ والجَانِي[٣]

وفيه تأكيد على صفة الكرم باستخدام المفعول لأجله "كرمًا"، وعلى مصدر هذا الكرم "لديه".

ويعني هذا أن تقديم المفعول لأجله يبرز سبب الحدث. ومن خلال الجار والمجرور والظرف والمضاف إليه، يتضح مصدر الفعل أو منبعه أو اتجاهه، والمعنى: أن تساوي ذي العمل المبرور والجاني عند الله يعود إلى ما يتصف به الله سبحانه وتعالى من كرم.

---

(١) مغلوب الرشاد: أي رشاده مغلوب. السابق: ٤/ ١٩٣.

(٢) التوى: مال. والقدائم: جمع قديم. ويريد بالدهور القدائم: عهود الخلفاء والملوك المشهورين بالعدل. الديوان: ٣/ ٣٠٧.

(٣) الجاني: المذنب. السابق: ٤ /١٤٩.

**٤ – تقديم المفعول به والمفعول لأجله على الفاعل:**

فَأَهْمَلَ الأَرْضَ جَرَّا الظُّلْمِ حَارِثُهَا  وَاسْتَرْجَعَ المَالَ خَوْفَ العُدْمِ تَاجِرُهُ[١]

فالمفعول به "الأرض" -في صدر البيت- "والمال" في عجُزه، والمفعول لأجله: "جرا الظلم" – في الصدر و"خوف العدم" في العجُز. وتقديم المفعول به والمفعول لأجله في شطري البيت أدى إلى التماثل التركيبي التام، إذ إن كل شطر يتكون من:

فعل ماض + مفعول به + مفعول لأجله + فاعل + مضاف إليه.

كما أن تقديم المفعول به والمفعول لأجله يدل على أهميتهما، فالتركيز – من حيث المعنى – على إهمال الأرض" و"استرجاع المال". وهما المعنيان اللذان يبرزهما الفعل والمفعول به في صدر البيت وعجُزه، ثم بيان السبب في كلتا الحالين بالمفعول لأجله في كلٍّ.

**٥ – تقديم المفعول به والتمييز على الفاعل:**

ويقع ذلك في موضع واحد هو:

أَرِجُ النَبَاتِ، كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَرَى  طِيباً مُرُورُ "الخِضْرِ" بَيْنَ إِكَامِهِ[٢]

وتقدم كل من المفعول به "الثرى" والتمييز "طيبًا" يثير الذهن للتفكير في الفاعل.

والفارق بين هذه الظاهرة وسابقتها يكمن في أن الفاعل في الأولى ليس ذا أهمية كبيرة، فالمعنى المراد بيانه فيها: أن الأرض أهملت بسبب الظلم، وأن المال استُرجع خوف الفقر. أما في هذه الظاهرة فالفاعل يضيف الجديد إلى المعنى، فالذي غمر الثرى طيبًا مرورُ الخضر، فالطيب -إذن- مبارك، أي أن ذِكْرَ الفاعل -هنا- يكسب المعنى مزيةً.

**٦ – تقديم المفعول به والجار والمجرور:**

وترد هذه الظاهرة في أربعين موضعًا.

---

(١) جرا الظلم: بسببه. والعُدْم: الفقر. السابق: ٢/ ١٤٣.

(٢) أرج النبات: أي أن نبات هذا الوادي طيب الرائحة. ويراد بالطيب: الأريج. والخضر: صاحب موسى. والإكام: تلال الأرض، والواحدة: أَكَمَة. الديوان: ٣/ ٥٧١.

وتتسم هذه الظاهرة بسمتين أساسيتين:

**الأولى**: أن تقديم المفعول به يبرز أهميته في السياق.

**الثانية:** أن مجئ الجار والمجرور متقدمًا إنما هو للتفصيل والتوضيح وإزالة الإبهام.

وهاتان السمتان تتضحان في البيت التالي:

وَلَـــوْ أنَّ أسْـــبَابَ السِّـــيَادَةِ بـــالغِنَى  لَكَـــاثَرَ رَبَّ الفَضْـــلِ بالمَـــال تـــاجِرُ[1]

فـ "رب الفضل" -وهو المفعول به- أعظم مكانه من التاجر - وهو الفاعل. ويقوي هذا الاستنتاج -هنا- تنكير كلمة "تاجر" الذي أفاد التحقير.

أما الجار والمجرور "بالمال"، وهو مفعول به محول إلى جار ومجرور. فهو يحدِّدُ ويُفَصِّل. وبحذفهما يغمض المعنى. فهل كاثر التاجرُ ربَّ الفضل بالولد أم بالعلم أم بالعافية..؟

ويبرز الحكمين السابقين البيتُ التالي:

قَـــذَفَتْهَا إلى البُطُـــونِ ظهُـــورٌ  وَحَوَتْهَـــا بَعْـــدَ الظُّهُـــورِ بُطُـــونُ[2]

ففي صدر البيت -وهو ما يبرز تلك الظاهرة- يقصد بالضمير في "قذفتها" -وهو المفعول به- النطفة وهي أول مراحل خلق الإنسان وأهمها.

كما أن الجار والمجرور -إلى البطون- يحدد موضع القذف:

إلى الأرض .. إلى الجبال .. إلى أسفل .. إلى أعلى ..

وفي إطار هذه الظاهرة التي قِوامها أربعون بيتًا نجد أن هناك عشرين موضعًا كان المفعول فيها ضميرًا متصلًا -كما في البيت السابق- منها اثنا عشر موضعًا كان المفعول به الضمير ياء المتكلم، وهذا يؤكد أن المفعول به -الاسم الظاهر أو الضمير المتصل- يتقدم لأهميته، إلا أن المفعول به إذا كان ضميرًا متصلًا والفاعل اسمًا ظاهرًا وجب تأخير الفاعل.

---

(١) كاثره بماله: فاخرة بكثرة ماله. السابق: ٢/ ٩٨.

(٢) يراد بالبطون: أرحام النساء. والظهور: خلاف البطون. الديوان: ٤/ ١٢١.

**٧ – تقديم المفعول به والحال والجار المجرور على الفاعل:**

ويرد في موضع واحد هو:

فَلَـيْسَ يَجْنِـي ثِـمَارَ الفَـوْزِ يَانِعَـةً  مِـنْ جَنَّـةِ العِلْـمِ إلَّا صَـادِقُ الهِمَـمِ[١]

والبيت –بوصفه أسلوب قصر– يقصر جني ثمار الفوز وهي يانعة على صادق الهمم. ومغزى التقديم –هنا– أنه يؤكد على الجني ويبين حاله وطبيعته. لذلك كان تقديم المفعول به "ثمار" والحال "يانعة". والجار والمجرور "من جنة.."، كما أن تأخير الفاعل يُحدث نوعًا من التشويق.

**٨ – تقديم المفعول به والظرف والمضاف إليه على الفاعل:**

ويجيء في ستة مواضع.

ويتقدم المفعول به في هذه الظاهرة لأهميته، أما الظرف والمضاف إليه فتقديمهما قد يكون للتأكيد على التحديد الزمني، كما في قوله:

رَدَّ الصِّـبَا بَعْـدَ شَـيْب اللِّمَّـةِ الغَـزَلُ  وَرَاحَ بِالجِـدِّ مَـا يَـأْتِي بِـهِ الهَـزَلُ[٢]

فثمة تقديم للمفعول به "الصبا" إذ إن معنى رد الصبا هو الأكثر أهمية من بيان أن ما رَدَّ هذا الصبا هو الغزل، أما الظرف والمضاف إليه "بعد شيب اللمة" فتقديمهما يشير إلى التركيز على زمن الحدث.

كذلك قد يؤكد الظرف والمضاف إليه على التحديد المكاني، كما في قوله:

وَإنِّي امـــرُؤ لاَ أَسْـــتَكِينُ لِصَـــوْلَةٍ  وإنْ شَـدَّ سَـاقِي دُونَ مَسْـعَايَ قِـدُّهُ[٣]

أي: قبل الوصول إلى مسعاي.

**٩ – تقديم الظرف والمضاف إليه وجملة الشرط.**

ويرد ذلك في موضع واحد هو:

---

(١) جنة العلم: العلم الشبيه بالجنة، والجنة البستان والفردوس. السابق: ٣/ ٢٦٣.

(٢) الصبا: الصغر، ويراد به هنا: الشباب. واللمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، ويراد به هنا: شعر الرأس كله. الديوان: ٣/ ١٥١.

(٣) أستكين: أخضع. والصولة: البطش. وشَدَّه: ربطه. والقِدّ: سير يقد من جلد. السابق: ١/ ١٩٣.

يُرَافِقُنِي عِنْدَ الخُطُوب إِذَا عَرَتْ جَوَادٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ، وَجَفِيرُ[1]

هنا يضاف إلى التحديد الزمني في قوله: "عند الخطوب" التعليق الشرطي باستخدام جملة الشرط "إذا عرت".

والتركيب: يرافقني عند الخطوب إذا عرت ... جواد ...

يُكَوِّنُ تركيبًا شرطيًّا كاملًا، وبإرجاع عناصره إلى صورتها المثالية، تصبح كما يلي:

إذا عرت الخطوب يرافقني عندها جواد ...

أما هذا التشابك بين العناصر فيدل على أن الأهمية تتوزع بينها جميعًا، بحيث لا يتميز عنصر على آخر.

**١٠ - تقديم الجار والمجرور وجملة الشرط:**

ويأتي هذا في موضع واحد هو:

يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا أَحَسَّ بِنَبْأَةٍ شَدَّ كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُوقَدِ[2]

فالجار والضمير الذي في محل جر "منه" يشيران إلى تحديد المصدر، فالكفاية هي من الحصان، الذي يتحدث عنه، لا من غيره. والشرط يفيد التعليق.

**١١ - تقديم الظرف والمضاف إليه على الفاعل:**

ويجيء ذلك في سبعة وثلاثين موضعًا.

وتقديم الظرف والمضاف إليه في هذه الظاهرة ذو هدف واحد من هدفين: إما التركيز على الحالة المكانية، وإما التركيز على الحالة الزمنية.

ويوضح الهدفَ الأول قولُه:

وَتَرَنَّمَتْ فَوْقَ الأَرَاكِ حَمَامَةٌ تَصِفُ الهَوَى بِلِسَانِ صَبٍّ مُولَعِ[3]

فالظرف والمضاف إليه "فوق الأراك" يبرزان مكان الترنم، ويُظهر الهدفَ الآخر قولُه:

---

(١) عرت: نزلت. وصارم: قاطع. والجفير: كنانة النبل والسهام، وتكون من الجلد. السابق: ٢/ ٢٠.

(٢) النبأة: الصوت الخفي. والشد: الجري. والمعمعة: صوت الحريق في القصب ونحوه. والأباء: الأجمة من الحلفاء والقصب. السابق: ١/ ٢٠١.

(٣) ترنمت: غنت. والأراك: شجر طويل، واحدته أراكة. وصب: عاشق. ومولع: مغرم. الديوان: ٢/ ٢٥٣.

وَكَيْـفَ تَلَـذُّ بَعْـدَ الشَّـيْب نَفْسِـي؟ وَفِى اللَّـذَّاتِ إنْ سَـنَحَتْ عَـذَابى[1]

إذْ حدد الظرف والمضاف إليه "بعد الشيب" زمان الحدث. إذن يمكن القول: إن التقديم في هذه الظاهرة يكون بغرض إظهار البعد المكاني أو البعد الزماني للحدث.

**١٢ - تقديم الظرف والحال والجار والمجرور على الفاعل:**

ويرد ذلك في موضع واحد هو:

وَكَيْـفَ يَعِـيشُ الـدَّهْرَ خِلْـوًا مِـنَ الأسَـى سَـقِيمٌ يُغَـادَى بِـالهُمُومِ وَيُطْـرَقُ[2]

إذْ تقدم الظرف "الدهر" والحال "خلوا"، والجار والمجرور "من الآسى" وتقديم هذه العناصر يعني التركيز على ما بها من معان والتنبيه إليها.

**١٣ - تقديم الجار والمجرور:**

وعدد مواضع هذه الظاهرة خمسمائة واثنان وثلاثون موضعًا.

ويلفت النظر في ظاهرة تقديم الجار والمجرور الكثرة العددية لتلك الظاهرة وشيوعها عند البارودي: يقول:

زَهَـتِ القُلُـوبُ بِنُـورِ حِكْمَتِـهِ وَتَعَطَّـرَتْ بالـذِّكْرِ أفَـوَاهُ[3]

وتقديم الجار والمجرور- في عجُز البيت، يؤكد أن الذِّكر هو مصدر العطر، وإن هذه الأفواه لم تتعطر بشيء غيره، خاصة أن المقصود بالذِّكر ذِكر الله تعالى.

وقد يشير الجار والمجرور إلى التحديد المكاني، كما في قوله:

وَكَيْـفَ أكْـتُمُ أشْـوَاقِي ..... .....

أمْ كيْـف أسْـلُو ولي قلْـبٌ إذَا التَهَبَـتْ بـالأُفْقِ لَمْعَـةُ بَـرْقٍ كَـادَ يَلْتَهِـبُ؟[4]

وقد يتصل بحرف الجر ضمير، كما في قوله:

---

(١) سنحت: ظهرت. السابق: ١/ ١٠١.

(٢) خلوا: خالياً. والأسى: الحزن. وسقيم: مريض. ويغادى: تأتيه صباحًا. ويُطرق: تنزل به ليلًا. السابق: ٢/٣٥٦.

(٣) زهت: أضاءت. السابق: ٤/ ١٨٢.

(٤) الديوان: ١ / ١١١.

هَيْفَـاءُ مَـالَ بِهَـا النَّعِـيمُ، فَخَطْوُهَـا دُونَ القطَـاةِ، وَنُطْقُهَـا إيـمَاءُ[1]

وقد يكون هذا الضمير ضمير المتكلم، كما في قوله:

يَـا رَبُّ! طَـالَ بِي شَـوْقِي إلى وَطَنِـي فَاحْلُـلْ وَثَـاقي، وأَلْحِقْنِـي بِأَشْـبَاهِي[2]

فالجار والمجرور -في الموضعين- مؤكد للمعنى.

وقد يتعدد الجار والمجرور للتأكيد والتحديد والتفصيل، كما في قوله:

فَخَـلِّ هَـذا، وَخُـذْ فِي وَصْـفِ غَانِيَـةٍ سَرَتْ بِحُلْـوَانَ فِي قَلْبِـي سَـوَارِيهَا[3]

**١٤ - تقديم الجار والمجرور والمفعول به:**

وعدد مواضع هذه الظاهرة عشرة مواضع.

ويسترعى الانتباه في هذه الظاهرة أربعة أمور:

**الأول**: أنه لم يَرِد اسم مجرور بعد حرف الجر في كل هذه المواضع، بل ورد ضمير مبني في محل جر.

**والثاني**: أن خمسة ضمائر من العشرة هي ضمير المتكلم الذي يعود إلى الشاعر.

**والثالث**: أن استخدام ضمير المتكلم في هذه المواضع الخمسة لم يأت إلا في الفخر.

**والرابع**: أنه لم يُستخدم في المواضع التي كان فيها الضمير للمتكلم إلا الفعل "أبى" الذي يلاءم تمامًا غرض الفخر. يقول:

وَكَـمْ مِـنْ يَـدٍ للهِ عِنْـدِي وَنعْمَـةٍ يَعَـضُّ عَلَيْهَـا كَفَّـهُ الحَاسِـدُ الوَغْـدُ[4]

ويقول:

---

(١) هيفاء: ضامرة البطن، رقيقة الخصر. والقطاة واحدة القطا، وهو نوع من الحمام. وإيماء: إشارة. السابق: ١/ ٦٦.

(٢) احلل وثاقي: فك أسري. السابق: ٤/ ١٨٠.

(٣) خل: اترك. و (هذا) إشارة إلى الأطلال. والغانية: الحسناء. وسواري الغانية: ما خالط قلبه من عواطف الحب. السابق: ٤/ ١٦٦.

(٤) يد الله: نعمته. والوغد: الدنئ. السابق: ١/ ٢١٣.

مَـاتُوا كِرَامـاً، وَأبْقَـوْا لِلعُـلاَ أثَـرًا  نَالَـتْ بـِهِ شَرَفَ الحُرِّيَّـةِ الأُمَـمُ[1]

ففي هذين الموضعين نلاحظ أن الجار والمجرور يأتي لتأكيد المعنى وتقويته، كما أن المفعول به يتقدم لأهميته.

أما المواضع التي كان فيها الضمير المتصل بحرف الجر للمتكلم فهي:

أبَـتْ لِيَ حَمْـلَ الضَّـيْم نَفْـسٌ أبِيَّـةٌ  وَقَلْـبٌ إذَا سِـيمَ الأذَى شَـبَّ وَقْـدُهُ[2]

وقوله:

وإني امْـرُوءٌ تَـأبى لِيّ الضَّـيْمَ صَـوْلَةٌ  مَوَاقِعُهَـا فِي كُـلِّ مُعْـتَرَكٍ حُمْـرُ[3]

والبيت التالي:

تـأْبَى لِيَ الضَّـيْمَ نَفْـسٌ حُـرَّةٌ وَيَـدٌ  أطَاعَهـا المُرْهَفَـانِ السَّـيْفُ والقَلَـمُ[4]

وهذا البيت:

يَـأبَى لِيَ الغَـيَّ قَلْـبٌ لاَ يَمِيـلُ بـِهِ  عَـنْ شِرْعَـةِ المَجْـدِ سِـحْرُ الأعْـيُنِ النُّجُـل[5]

وهذا -أيضًا:

فَاطْلُـبْ لنفْسـك غـيْرِي، إنَّنـي رجُـلٌ  يـأبَى لِيَ الغَـدْرَ أخْـوَالٌ وأعْـمَامُ[6]

ففي هذه المواضع الخمسة نلاحظ أن المفعول به المقدم هو "الضيم" في الأبيات الثلاثة الأولى، و "الغي" في البيت الرابع، والغدر، في البيت الخامس، وأن الفاعل على الترتيب: "نفس"، و "صولة"، و "نفس"، و "قلب"، و "أخوال". فالمفعول به المقدم مما تعافه النفوس، والفاعل ذو شأن.

إذن يمكن الجزم بأنه إذا كان تقديم الجار والمجرور -هنا- للتأكيد فإن تقديم المفعول به للتحقير.

---

(١) الديوان: ٣/ ٥٤٠.

(٢) الضيم: الظلم. وسيم الأذي: أريد به الأذى. وشَبَّ: اتقد. والوَقْد: النار. السابق: ١/ ١٩٣.

(٣) الصولة: السطوة. وتأبى صولته الضيم: أي تدفع عنه الضيم. وهو الظلم. والمعترك: موضع القتال، أو مصدر ميمي بمعنى الاعتراك. السابق: ٢/ ١٤٩.

(٤) سيف مرهف: حاد، قاطع. وقلم مرهف: بليغ مؤثر. السابق: ٣/ ٥٣٦.

(٥) الغي: الجهل والضلال. وشرعة المجد: طريقه. السابق: ٦/٣.

(٦) السابق: ٣/ ٤٦٩.

**١٥ – تقديم الجار والمجرور والمفعول لأجله على الفاعل:**

ويأتي في موضع واحد هو:

رَجَـــعَ الخِـــدِيو لِمِصـــــرِهِ وَأَتَـــتْ طَلاَئِـــعُ نَصْـــــرِهِ

وَتَهَلَّلَـــــتْ بِقُدُومِـــــهِ فَرَحًـــــا أَسِرَّةُ عَصـــــرِهِ[١]

فالمراد إثبات قدوم الخديو والتأكيد على معنى الفرح بعودته، والمعنيان يبرزهما الجار والمجرور والمفعول لأجله.

**١٦ – تقديم الجار والمجرور في الجملة المبنية للمجهول:**

ويرد في ستة مواضع.

ويهدف تقديم الجار والمجرور في هذه الظاهرة إلى التنبيه إلى المعنى الذي يبرزه هذا التقديم، ويتضح ذلك في قوله:

وَهَـلْ فِي الـتَّحَلِّي بِـالكُنَى مِـنْ فَضِـيلةٍ إِذَا لَمْ تُـــزَيَّنْ بِالفَعَـــالِ الطَّبَـــائِعُ؟[٢]

فهو ينبه إلى أن التزين لا يكون إلا بالفعال الحميدة.

ويقول عن الخمر:

تُـــزَفُّ بِألحَـــانِ المَثَـــانِي كُئُوسُـــهَا كَـمَا زُفَّـتِ الحَسْـنَاءُ بِالطَّبْـلِ والزَّمْـرِ[٣]

يؤكد على أن زف الكئوس إلى شاربي الخمر لا يتم إلا بألحان المثاني.

**ثانيًا: السمات الخاصة المتعلقة بالتقديم والتأخير:**

يتسم ديوان البارودي بسمات خاصة في التقديم والتأخير، تأتي في معظمها تحقيقًا لغايات جمالية، وقد تكون ذات ارتباط بالمعنى، وقد تجيء للحفاظ على قافية البيت، أو للتشويق، أو الاختصاص. وقد يؤدي هذا التقديم والتأخير إلى خلل في التركيب ناتج عن سوء ترتيب لعناصر البيت. ومن أبرز تلك السمات:

---

(١) طلائع النصر: مقدماته. وتهللت: أشرقت. وأسرَّة الوجه: خطوطه، واحدها سِرَار. الديوان: ٢/ ١٢٣.

(٢) التحلي: التزين. والفَعال: اسم للفعل الحسن، أو الفِعال: جمع فِعْل، والمراد: الأفعال الصالحة. السابق: ٢/ ٢٢١.

(٣) المثاني من أوتار العود: ما بعد الأول، واحدها مَثْنَى. السابق: ٢/ ١٢٩.

**١ – تأخير الفاعل ووقوعه مقطعًا للبيت:**

يقول:

تَكَـنَّفْنَ تِمْثَـالًا مِـنَ الحُسْـنِ رَائِعًـا  يُجَـنُّ جُنُونًـا عِنْـدَ رُؤيَتِـهِ العَقْـلُ[١]

تأخر الفاعل "العقل" وتقدم المفعول المطلق "جنونًا" والظرف والمضاف إليه "عند رؤيته". ووقع الفاعل مقطعًا للبيت.

وهدف التأخير–هنا– التركيز على معاني العناصر التي تقدمت، والحفاظ على القافية. وربما يكون تأخير الفاعل "العقل" دلالة على تأخره في العمل عند الجنون، أي أن ثمة علاقة بين تأخر الفاعل –في السياق– والتأخير الفعلي عند الجنون.

**٢ – تأخير الفاعل ووقوعه بين المفعول الأول والمفعول الثاني:**

يقول:

فَأَلْبَسَـتْ ياسـمِينَ الخَـدِّ خَجْلَتُـهُ  وَرْدًا جَنِيـاً – جَنَـاهُ رَائِـدُ المُقَـلِ[٢]

أي: فألبست خجلتُه ياسمينَ الخد وردا.

وتَقَدَّم المفعول به الأول "ياسمين الخد" لأنه أحق بالانتباه.

**٣ – تأخير المفعول به في الجملة الطلبية ووقوعه مقطعًا للبيت:**

يقول:

أيُّهَـا الظَّـالِمُ! هَـبْ لي  مَـرَّةً مِنْـكَ العَدَالَـهْ[٣]

وتأخير المفعول به "العدالة" يأتي بغرض المحافظة على القافية، وقد يكون تأخير "العدالة" في السياق مرتبطًا بتأخير تحققها عند هذا الظالم، أي أن الواقع اللغوي يشير إلى الواقع الحياتي.

**٤ – تقديم المفعول به على اسم الفاعل الذي يعمل عمل فعله:**

يقول:

---

(١) تكنفنا فلانا: أحطنا به.السابق: ٣/ ٤٧.

(٢) ياسمين الخد: الخد الشبيه بالياسمين. والجَنِيّ: الطرى. وجناه: قطفه. والمقل: العيون. ورائد المقل: المقل الشبيه بالرائد. الديوان: ٣/ ٢٢٧.

(٣) هب: أمر من وهب. السابق: ٣/ ١٩٤.

كَفَــلَ الشَّــقَاءَ - لِمَــنْ أنَــاخَ بِرَبْعِــهِ  وَكَفَــى ابْــنَ آدَمَ بِالمَصَــائِبِ كَــافِلَا[1]

أي "وكفى بالمصائب كافلًا ابن آدم".

وتقديم المفعول به "ابن" على اسم الفاعل الذي يعمل عمل فعله "كافلَا" الذي يقع مقطعًا للبيت أدى إلى سوء في الترتيب.

**٥ - تقديم الجار والمجرور في أسلوب القصر:**

ويأتي ذلك في ثمانية مواضع:

يقول:

إلَيْــكِ اسْــتَثَرْتُ العَــيْنَ مَحْلُولَــةَ العُــرَا  وَفِيــكِ رَعَيْــتُ الــنَّجْمَ رَعْــيَ السَّــوَائِمِ[2]

وطريقةُ القصر في شطري البيت تقديمُ الجار والمجرور، أي تقديم ما حقه التأخير في قوليه "إليك استثرت" و"فيك رعيت" مما يؤدي إلى القصر أو الاختصاص، أي من أجل حبيبته وحدها استثار العين .. وبسببها فقط رعى النجم رعي السوائم.

ويقول:

إلى اللهِ أشْــكُو نَظْــرَةً مــا تَجَــاوَزَتْ  حِمَــى العَــيْنِ حَتَّــى أوْرَدَتْنِــي المَهَاوِيَــا[3]

فتقديم الجار والمجرور "إلى الله" يفيد قصر بث الشكوى على الله، واختصاص الله وحده بالشكوى دون أحد سواه.

**٦ - تقديم الخبر في الجملة الاسمية:**

يقول عن البحر:

---

(١) كفل الزمان الشقاء للناس: ضمنه لهم. وأناخ: نزل. والربع: المنزل، أو ما حول الدار. وكافلا: ضامناً. والمصائب: فاعل (كفى). السابق: ٣/ ٢١٠.

(٢) إليكِ هنا أي من أجلك. استثرت العين: هيجتها بكثرة البكاء. والعرا: جمع عروة: وهي من الثوب ما يدخل فيه الزر. ومحلولة العرا: مفتوحة، كناية عن الأرق. ورعيت النجم: راقبته. والسوائم: جمع سائمة، وهي الماشية. الديوان: ٣/ ٢٩٠.

(٣) الحمى: المكان. وحمى العين: العين المحمية. والمهاوي: جمع المَهْواة، وهي الحُفْرة. ويراد بالمهاوي: المهالك. السابق: ٤/ ٢٢٠.

قَلِيلٌ عَلَى عَهْدِ الإِخَاءِ ثَبَاتُهُ  فَأَسْفَلُهُ عَالٍ، وَعَالِيهِ سَافِلُ[1]

أي: "ثباته على عهد الإخاء قليل". وتقديم الخبر "قليل" يعني التنبيه إلى ما يحمله من معان، فهو يريد التنبيه إلى قلة ثبات البحر، لا إلى وجود الثبات. ولو عكس وقال: "ثباته على عهد الإخاء قليل" لكان التركيز على وجود الثبات، لا على قلته.

**٧ – تأخير الخبر والإتيان به بعد أربعة أبيات:**

يقول:

فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ بَاكَرَهَا الحَيَا  بِأَوْطَفَ سَاجٍ، أَشْعَلَ البَرْقَ سَاجِمِ[2]

يَضُوعُ بِهَا نَشْرُ العَبِيرِ، فَتَغْتَدِي  تَقَاسَمَهُ فِينَا أَكُفُّ النَّوَاسِمِ

إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ مِنْ خِلَالِ ظِلَالِهَا  عَلَى الأَرْضِ، لَاحَتْ مِثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ

يَقِيلُ بِهَا سِرْبُ المَهَا وَهْوَ آمِنٌ  فَمِنْ أَرْبَدٍ سَاجٍ، وَأَحْوَرَ بَاغِمِ

بِأَلْطَفَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ  إِذَا العُودُ ضَمَّتْهُ أَكُفُّ العَوَاجِمِ[3]

والجملة هي "فما روضة ... بألطف"...

و"ما" نافيه" والباء في "بألطف" زائدة.

وتأخير الخبر بهذه الصورة. ووقوع هذه التراكيب المتعددة بين المبتدأ وخبره ينسيان المرء أن ثمة خبرًا ينبغي انتظاره.

---

(١) عهد الإخاء: ميثاقه. السابق: ٣/ ١٨٧.

(٢) غناء: كثير الشجر. والحيا: المطر: وبأوطف: بسحابٍ أوطف، أي دان من الأرض. وساج: ساكن. وساجم: منصب المطر. ويضوع: يفوح. والنشر: الرائحة الطيبة. وتقاسمه: تتقاسمه. ودور: جمع دارة، وهي الحلقة. السابق: ٣/ ٣١٠.

(٣) يقيل: ينام في القائلة، وهي الظهيرة. وبها: بالروضة. وأربد: أغبر. وساج: ساكن، والمراد آمن. وباغم: اسم فاعل من (بغمت الظبية) أي صاحت إلى ولدها. والعود: الغصن. والعواجم: اسم فاعل من عجم الإنسان الشيء، أي عَضَّه، ليعلم صلابته. الديوان: ٣/ ٣١٢.

**٨ – تأخير مقول القول والإتيان به بعد خمسة أبيات:**

يقول:

أَقُـولُ لِرَكْـبٍ مُـدْلِجِينَ، هَفَـتْ بِهِـمْ رِيَـاحُ الكَـرَى، مِيـلِ الطُّـلَى والعَمَائِـمِ
تَجِـدُّ بِهِـمْ كُـومُ المَهَـارِي لَوَاغِبـاً عَـلَى مَـا تَـرَاهُ، دَامِيَـاتِ المَنَاسِـمِ
تُصِـيخُ إِلَى رَجْـعِ الحُـدَاءِ، كَأَنَّهَـا تَحِـنُّ إِلى (إِلْـفٍ) قَـدِيمٍ مُصَـارِمِ
وَيَلْحَقُهَـا مِـنْ رَوْعَـةِ السَّـوْطِ جِنَّـةٌ فَتَمْـرُقُ شُـعْثًا مِـنْ فِجَـاجِ المَخَـارِمِ
لَهُـنَّ إِلَى الحَـادِي التِفَاتَـةُ وَامِـقٍ فَمِـنْ رازِحٍ مُعْـى، وَآخَـرَ رَازِمِ
أَلَا أَيُّهَـا الرَّكْـبُ الَّـذِي خَـامَرَ السُّـرَى بِكُـلِّ فَتًـى لِلْبَـيْنِ أَغْـبَرَ سَـاهِمِ
قِفَـابِي قَلِـيلًا، وَانْظُـرَا بِي، أَشْـتَفِي بِلَـثْمِ الحَصَـى بَـيْنَ اللِّـوَى فَالنَّعَـائِمِ[1]

فقوله: "ألا أيها الركب .. قفا بي .." هو مقول القول في البيت الأول.

وهذا التأخير يجعل المتلقي يستغرق في الأبيات والتراكيب الواردة بين القول ومقوله وينسى أن هناك مقولا للقول.

وهذه الظاهرة، وكذا سابقتها – تدل على حضور ذهن الشاعر وتيقظه، فعلى الرغم من كثرة التراكيب المعترضة، سواء بين المبتدأ وخبره أم بين القول ومقوله إلا أنه كان منتبهًا للبنية النحوية في السياق الشعري.

---

(١) الركب: الراكبون. والمدلجون: السائرون الليل كله. وهفت بهم: هزتهم. وميل جمع أميل أو ميلاء، بمعنى مائل أو مائلة. والطلى: العناق، والواحدة طُلْية. وتجد: تجتهد. وكوم: جمع أكوم أو كوماء. وهو ما ضخم سنامه من الإبل. والمهاري: نجائب الإبل. ولواغب: جمع لاغب أو لاغبة، من اللغوب، وهو التعب الشيد. ودامیات: جمع دامية من دمى الجرح، أي خرج منه الدم ولم يسل. والمناسم جمع مَنْسِم، وهو طرف خف البعير ونحوه. وتصيخ: تصغي. والحداء: الغناء للإبل. ورجع الحداء: صداه. والروعة: الفزعة. والجنة: الجنون. ويراد بالمخارم هنا: الجبال. والوامق: المحب، ويراد به هنا المستعطف. ورازح: ضعيف. ومعي اسم فاعل من أعيا في سيره، أي تعب. ورازم: شديد الإعياء. وساهم: متغير اللون. وانظر: انتظر. واشتفى بكذا: نال به الشفاء. واللوى: ما التوى من الرمل. والنعائم: أعلام مرفوعة يُهتدى بها في الصحاري، واحدتها: نعامة: السابق: ٣/ ٢٩١ – ٢٩٤.

**٩ – تقديم المتعلقات وتأخيرها مما يؤدي إلى ثقل في التركيب:**

يقول:

صَـــوارِخُ، لاَ يَهْـــدَأنَ إلا مَـــعَ الضُّـــحَا  مِـــنَ الشَـــرِّ، فِي بيـــتٍ مِـــنَ الخَـــيْرِ مِمْحَـــالِ[١]

فـ "من الشر" متعلق بـ "صوارخ" و "في بيت" متعلق بها – أيضا. و"من الخير" متعلق بـ "بيت" و "ممحال" نعت له. وترتيب البيت: "صوارخ من الشر، في بيت ممحال من الخير، لا يهدأن إلا مع الضُّحا"[٢].

**١٠ – التقديم والتأخير في التعبير الجاهز:**

يقول:

فَهْـــوَ بِهَـــا مُجْتَمِـــعٌ شَـــمْلُهُ  إنْ أصْـــدَرَ القَـــوْلَ بِهَـــا أوْرَدَا[٣]

فحدث قلب في التعبير الجاهز "إذا أورد أمرًا أصدره" أي إن بدأ أمرًا أتمه[٤].

**ثالثًا: التقديم في التركيب الشرطي:**

تقديم الاسم على الفعل.

تعد قضية تقديم الاسم على الفعل في التركيب الشرطي من القضايا الجديرة بالبحث والدراسة، ذلك أن ثمة خلافًا حول ولاية الفعل أداة الشرط. فمنهم من يرى "أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها الأفعال"[٥]، لأن هذه الحروف قد يفارقها الجزاء فتتحول إلى أدوات استفهام أو إلى أسماء موصولة.

وتستثنى من أدوات الشرط "إنْ"، لأنها أم أدوات الشرط، ولأنه لا يفارقها الجزاء خلافًا لبقية أخواتها، تمامًا كما هو الحال في حروف الاستفهام، إذ إنه يقبح أن يليها الاسم إذا ورد الفعل بعده، فيما عدا همزة الاستفهام، لأنها الأصل فيه[٦].

---

(١) أي هن صوارخ، جمع صارخة، من الصراخ أو الصريخ، وهو الصياح الشديد. وممحال: مجدب. الديوان: ٣/ ٢٥٠.

(٢) السابق: ٣/ ٢٥٠.

(٣) يقال: إذا أورد أمرًا أصدره، أي إن بدأه أتمه. وأورده: جعله يرد الماء، وأصدره: رجعه. السابق: ١/ ٢٧٥.

(٤) السابق: ١/ ٢٧٥.

(٥) سيبويه: الكتاب: ٣/ ١١٢.

(٦) انظر المقتضب: ٢/ ٧٢.

ويرى البعض أن هناك فعلًا محذوفًا يفسره الفعل الظاهر بعد الفاعل. ونرى أنه ليس ثمة حذف، وإنما تقديم للاسم على الفعل، ونقول ذلك محتكمين إلى السياق حتى لا نلجأ إلى التأويلات والتفسيرات التي قد يبدو فيها شيء من التكلف.

وتقديم الاسم على الفعل في التركيب الشرطي -كما ورد عند البارودي- ذو وجهين:

**الوجه الأول**: تقديم الاسم على الفعل في جملة الشرط المتصدرة للتركيب الشرطي.

**الوجه الثاني**: تقديم الاسم على الفعل في جملة الشرط المسبوقة بجملة الجواب.

**الوجه الأول للظاهرة**: ورد في أربعة وأربعين موضعًا في ثلاث الصور التالية:

**الصورة الأولى**: وتقع في أربعة عشر موضعًا وهي كالآتي:

أداة الشرط + جملة الشرط (مبدوءة باسم + فعل ماض) + جملة الجواب (مبدوءة بفعل ماض).

**الصورة الثانية:** وترد في موضع واحد: وهي كما يلي:

أداة الشرط + جملة الشرط (مبدوءة باسم + فعل ماض) + جملة الجواب (مبدوءة بفعل مضارع).

**الصورة الثالثة:** وقوامها ثمانية وعشرون موضعًا وتركيبها:

أداة الشرط + جملة الشرط (مبدوءة باسم + فعل ماض) + جملة الجواب (مقرونة بالفاء)، وتأتي اسمية، وطلبية، ومبدوءة بـ "ما"، النافية، ولا النافية"، وليس.

ويمثل الصورة الأولى البيتُ التالي:

إِذَا المَـــرءُ لَمْ يَـــنْهَضْ لِمَـــا فيـــه مَجْـــدُهُ  قَضَـــى وَهْـــوَ كَـــلٌّ في خَـــدُورِ العَوَاتِـــقِ[1]

وتتضح الصورة الثانية في قوله:

إِنَّـــا إِذَا مَـــا الحَـــرْبُ شَـــبَّ سَـــعِيرُهَا  نَحْمِـــي النَّزِيـــلَ، وَنَمْنَـــعُ الجيرَانَـــا[2]

أما الصورة الثالثة فمثالها البيت:

---

(١) قضى: مات. وكَلٌّ: ثقيل، لا خير فيه. والخدور: جمع خِدْر، وهو الستر. والعواتق: جمع عاتق، وهي الشابة، أو الجارية التي لم تتزوج. الديوان: ٢/ ٣٦١.

(٢) السعير: لهب النار. والنزيل: الضيف. السابق: ٤/ ٨٧.

إذَا القَلْــبُ لَمْ ينْصُــرْكَ فى كُــلِّ مَــوْطنٍ  فَــمَا السَّــيْفُ إلاَّ آلــةٌ حَمْلُهَــا إدُّ[1]

ونلاحظ في كل الصور السابقة تقدم الاسم على الفعل، وقد ورد هذا في أربعة وأربعين موضعًا، وتنوعت جمل الجواب، فهي فعلية فعلها ماض، وفعلية فعلها مضارع، ومقرونة بالفاء.

وتقديم الاسم على الفعل يعني أن الاسم المقدم ذو أهمية خاصة عند الشاعر حتى إنه يقدمه على الفعل، فالاسم وما يرتبط به من معان أكثر أهمية من الفعل، كما أن البدء بالاسم يثير الذهن ويلفت الانتباه.

وتتضح لنا الفكرة السابقة إذا قمنا بعقد مقارنة بين التركيبين التاليين:

- إذا القلب ... لم ينصرك.
- إذا لم ينصرك ...القلب.

فعندما قُلب التركيب فتأخر الاسم وتقدم الفعل صار المعنى خاليًا من التأكيد، وأصبح معنى مألوفا يمضي دون أن يترك أثرًا في نفس متلقيه. ويتضح الفرق بين المعنيين إذا توقف الكلام عند الاسم في الجملة الأولى، وعند الفعل في الجملة الثانية، ففي التركيب الأول هناك تشويق أحدثه البدء بالاسم وتقديمه على الفعل، مما أثار الاهتمام وجعل المتلقي منتظرًا ما يرتبط بهذا الاسم من أحكام ومعانٍ.

أما في التركيب الثاني فيقلُّ فيه عنصر التشويق، فإطلاق الفعل وحده لم يُحْدِث الإثارة الذهنية التي أحدثها تقديم الاسم.

**الوجه الثاني للظاهرة:** وفيها يتقدم الاسم على الفعل في جملة الشرط المسبوقة بجملة الجواب.

ويأتي هذا في خمسة عشر موضعًا.

ويمثل هذا الوجه من الظاهرة هذا البيت:

---

(١) الإدّ: الأمر الفظيع. السابق: ١/ ٢١٧.

لاَ تَغْفُلَـــــنَّ إذَا أُمنِيَّـــــةٌ عَرَضَـــــتْ فَـــإنَّمَا العَـــيْشُ في هـــذَا الـــوَرَى لَقَـــطُ[1]

ويتفق وجها الظاهرة في تقدم الاسم على الفعل في جملة الشرط، ومغزى التقدم في كلا الوجهين واحد، ويختلفان في أن هذا الوجه ينفرد بأن جملة الجواب قد تقدمت على جملة الشرط، مما يعني أن المعنى فيها هو الأهم لدى الشاعر، لذا يقدمها ثم يقيدها بجملة الشرط.

* * * * *

(١) عرضت: ظهرت. والورى: الخَلْق. واللقط: ما التُقط. الديوان: ٢/ ١٩٩.

# النتائج

يمكن إجمال النتائج العامة للتقديم والتأخير فيما يلي:

١ – قد يتقدم المفعول به لأنه أعظم شأنًا من الفاعل، أو لأنه أشمل منه، أو لوقوعه في أسلوب استثناء، أو في أسلوب استفهام. وقد يتقدم المفعول به، لأنه اسم موصول، وتقديمه يأتي بغرض المبالغة في الوصف، كما قد يتقدم لأن تأخيره يؤدي إلى حدوث خلل في التركيب. وقد يكون تقديمه ضرورياً لتحقيق التجانس اللفظي بين شطري البيت والمزاوجة بينهما.

أما عند تقديم المفعولين على الفاعل فإن دور الفاعل يقل وأهميته تتضاءل بحيث إن المعنى لا تتأثر بحذفه.

٢ – يأتي تقديم الحال للتأكيد على المعنى الذي يبرزه هذا الحال، أما تقديم المفعول لأجله فيعني التركيز على الحدث.

ويتقدم المفعول به والمفعول لأجله معًا في صدر البيت وعجُزه، فيتحقق –إضافة إلى أهمية المقدَّم– التجانس بين الصدر والعجُز.

٣ – أن تقديم المفعول به والجار والمجرور معاً يجيء لأهمية أولهما، ولأن تقديم الثاني يؤدي إلى التفصيل والتوضيح، أما إذا عُكس ترتيبهما بحيث يَرِدُ الجار والمجرور أولًا ثم المفعول به ثانيًا فهذا يعني إفادة التأكيد الذي يحققه الجار والمجرور والتحقير الذي يبرزه المفعول به المقدَّم. أما تقديم الجار والمجرور وحدهما فقد يُراد به بيان مصدر الحدث، أو الإشارة إلى التحديد المكاني. وقد يتقدم الجار والمجرور في أسلوب القصر فيفيد الاختصاص. ويتعدد الجار والمجرور في السياق بغرض التحديد والتفصيل.

٤ – يأتي تقديم التمييز بهدف التركيز على معناه، أما تقديم الظرف فيجيء للتأكيد إما على التحديد الزمني، وإما على التحديد المكاني.

٥ – أن تأخير الفاعل ووقوعه مقطعًا للبيت يعني التركيز على معاني العناصر التي تقدمت والمحافظة على القافية في القصيدة. أما تأخير المفعول به ووقوعه مقطعًا للبيت فيأتي بغرض المحافظة على القافية.

٦ – أن تأخير خبر المبتدأ وتأخير مقول القول بصورة لافتة يجعل المتلقي ينسى أن ثمة خبرًا أو مقولًا للقول عليها انتظارهما، إلا أن هذا يعني حضور ذهن المرسِل وتيقظه، إذ على الرغم مما اعترض من تراكيب سواء كانت بين المبتدأ والخبر أم بين القول ومقوله، فهو يقظ لطبيعة التركيب، وعلى وعي بماهية البنية النحوية للأبيات وإن طالت.

٧ – قد يؤدي تقديم المتعلقات وتأخيرها إلى ثقل في التركيب.

٨ – أن تقديم الاسم على الفعل في جملة الشرط يعني أن الاسم المقدَّم ذو أهمية خاصة، كما أن البدء بالاسم يحدث نوعًا من التشويق.

* * * * *